الأهداف الخفية للفرق الصوفية

د/غيلان الشرجبي

يمكن للسياسات الغربية أن تدعم السنة حيناً والشيعة حيناً آخر- في تحالفات مرحلية غير موثوقة- لأن تجربتها مع القاعدة وطالبان قد أرتدت عليها- كما أن «حزب الله» يهدد الحليف الإستراتيجية إسرائيل

<،، الفرق بين النصوص الدينية الواردة في الرسالات السماوية عموما وبين أتباع هذه المتعقدات المتوالية لا بد أن يثير تساؤلات جدلية تبقى الإجابة عليها مفتوحة - حتى إذا تجاوزنا حقيقة: التحريفات التي تعرضت لها الكتب المقدسة المتداولة لدى اليهود والنصاري وهو ما جاء القرآن الكريم لتأكيده بقوله تعالى:«قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل» ومع ذلك فإن الرجوع إليها - كما هي - يكشف مدى التوظيف التعسفي للنص- أحيانا- أو إثارة الحماس الجماهيري برفع شعارات دينية- أحيانا آخر- ومثلما قادت أوروبا «حروب صليبية» قديمة، فإن الحملات الغربية المعاصرة ضد المسلمين والدعم اللامحدود للكيان الصهيوني الغاصب ينافي دعوة السيد المسيح وكليم الله موسى عليهما أفضل الصلات والتسليم جملة وتفصيلا - وبالإطلاع على «الوصايا العشر» في التوراة نقف على أوامر بتحريم «القتل- الزنا- الكذب- الظلم» وغيرها من الحقوق الإنسانية الأساسية- ناهيكم عن الرمزية الإعجازية لـ«اليد البيضاء والممدودة لأعتى طغاة الأرض فرعون». ولذا فإن منهجية الدعوة «وقولا له قولا لينا» إلخ.. وعليه: فلا صلة إطلاقا للقيم الدينية التي تبشر بها الرسالات السماوية بالسلوكيات المتطرفة المنحرفة بل العكس يمكن أن يسود أرجاء المعمورة لو أحتكم الجميع إلى القيم الإيمانية الفاضلة ولو تعاضد الجميع لمحاربة الرذائل المتفشية وبكل ما تعنيه السلبيات والإيجابيات من تعاليم توافقية ونواميس جامعة هي في الأول والأخير دلالات مباشرة للفطرة السليمة الكامنة في أعماق النفس البشرية لأعمال العقل لاختيار سبيل الرشاد فـ«كل مولود يولد على الفطرة» ومن يستعرض المرجعية المعيارية لأي من المجتمعات بما فيها تلك التي تحكمها عقائد وضعية سيجدها لا تغادر هذا السياق الأخلاقي الجامع- فالتسامح والمساواة واحترام الحقوق الآدمية وحماية البيئة والرفق بالحيوان وتحديد قوانين الملكية الخاصة والعامة وتنظيم العلاقات الأسرية وتحريم ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وما إلى ذلك من الضوابط المعيارية تمثل قواعد غير النعرات على حساب صفاء المتعقدات.. ولا غرابة أن تسري هذه العدوى في كل اتجاه- فكل يحارب جزئياته، والكل يحارب الكل، بكل ما أفرزته الصراعات الدموية بين الفرق الإسلامية من صفحات سوداء شوهت النموذج المشرق لهذه العقيدة ليبلغ إهدار هذا النموذج الحضاري ذروته المدمرة في الأندلس- ولتتوالى حلقات التاريخ المأزوم إلى ما عداها وكأن مقولة «التاريخ يعيد نفسه» تعني المسلمين لا سواهم. وقد ينتقد الغربي لنعراته العصبية عبر مسلسل الحملات الصليبية المتوالية والتي استحضرها الرئيس الأمريكي «بوش الإبن» إلا أن الرغبة الجامحة بغرض النفوذ قد وجدت متنفسا لإفراغ الطاقة العدوانية صوب الهدف خارجي اتخذ من ذريعة «محاربة الإرهاب» ذريعة له- ولا غرابة أن يدعي سيد البيت الأبيض أنه «ينفذ مشيئة الرب» فتلك هي السمة البارزة على هذا النوع من الزعامات المصابة بـ«جنون العظمة» وإيحاءات الوصابة على الدين والدنيا-

فإذا ما استفزت «هالة الذات» لتحتل العاطفة مكان العقل وتحل الأنانية الذاتية محل الحقائق الموضوعية، اختزلت الأهواء الفردية للهوامش الفارقة بين الخاص والعام- يتمثل حيثيات هذا التحوير والاختزال مركز الدائرة لدى كافة فرقاء التطرف بالرغم من المواقف العدائية المتضادة..وهكذا.. يتضح التقارب بين شعار من ليس معنا فهو ضدنا us ortobe with the tarrirism » لبوش الإبن وبين أن فترة الحرب قد قسمت العالم فسطاطين» التي رفعها خصمه اللدود الشيخ أسامة - وحسبنا في هاذين المؤشرين إزالة الملابسات المثيرة للجدل حول مأزق الأدلجة الشمولية التي كلما أغرقت في الشخصنة صار الانتصار للذات لديها غاية- ولكي تستند هذه الغاية «اللاشعورية» إلى مصوغات «شعورية» مقبولة بالضرورة- ليبدو الاجتهاد موافقا للاعتقاد- فإن تفكيك وإعادة تركيب المخزون الذهني للمفردات العقائدية يرفد قوى التطرف بالأسانيد النصية لشرعنة اجتهاداتها الشخصية - ويكفي أن نلاحظ كيفية الاعتناق للنص بالنظر إلى ما يروى عن السيد المسيح عليه السلام ردا على مقولة تلاميذ- «يا معلم ..لقد رأينا رجلا يطرد السحر باسمك فمنعناه لأنه ليس معنا «فقال:« لا تمنعوه «فإن من ليس ضدنا فهو معنا وبمقارنة هذا النص بشعار الحرب على الإرهاب تتجلى الإرادة الشمولية التي توظف الأصل لتشريع الاستئصال - وتحوير النفي لإجازة الإثبات ويصدق ذلك على «التحريفات الصوفية» والتي كان لابد من طرح هذه الحيثيات قبل «للتوقف مع هذه الحركة بالذات لأنها استطاعت استيعاب كافة التناقضات دون الاصطدام المباشر بأي منها - لذلك استطاعت التحرك بهدوء وأن تتمدد دون منافس - ربما لأن هؤلاء جميعا اعتقدوا بأنها حركة سلمية مع أنها ليست كذلك قطعا - ولعل أهم مواصفات تواصلها مع الآخرين هي:

-1 الترويج بأنها فرقة سنية تعود جذورها إلى «أهل الصفة» وهم أولئك الفقراء من الصحابة الأوائل الذين اتخذوا مما يشبه الرصيف في المسجد النبوي الشريف مكانا أو حلقة لقراءة القرآن وتدارسه وحفظه وتحفيظه. أما هؤلاء فقد عمدوا إلى التأويل والتحوير لنقض شعائر الإسلام جملة وتفصيلا، فقد حرفوا الآية القرآنية ، «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين».. فقالوا: «إن العبادات تقوي الإيمان فإذا ما وصل المرء إلى درجة اليقين الإيماني فلا حاجة للتعبد» وهكذا.

-2 التقرب من غلاة التشيع، بل تطرفوا أكثر منهم ، وذلك بتقديس الأولياء وتحويل قبورهم إلى أماكن عبادة، والتبرك بهم، والطواف حول مراقدهم والإمعان بالانفلات عن عرى الإسلام حتى على مستوى «المدائح النبوية والشعر الروحاني» بتحويله إلى أشعار غزلية قابلة للتأويل في أكثر من اتجاه، فنسبوا إلى أحد مشائخهم أنه لا يذهب إلى بيت الله الحرام للحج و إنما العكس بقوله: وأنا البيت يطوف حول مقامي.

-3 الاستناد إلى الفلسفات القديمة كبدعة صريحة لا تقبل الجدل، إذا زعموا بـ«وحدة الوجود» وأن الأشياء جزء من كل، ومن ذلك قول «ابن عربي» وهو أهم الرموز المؤسسة للتصوف، ما في جبتي إلا الله واليعاذ بالله.

-4 إشاعة فكرة «الحلول والارتقاء» والتي تصل بهم إلى حد التفريط الذي لم تبلغه العقيدة اللاهوتية القائلة الأقانيم الثلاثة «الأب ، الابن ، الروح القدس».

فإذا بهؤلاء يزعمون أن المتصوف يصل إلى درجة الاندماج بالذات الإلهية- ألا ساء ما يفترون.

5) الاقتباس عن تقاليد الكنيسة وتمثل سلوك الرهبان والقساوسة وذلك من حيث المتظهر بالعفة والشرف والزهد عن الدنيا والانقطاع للعبادة - بينما يستغلون الحماس الديني وتعاطف المريدين للإثراء باسم «النذور وابتغاء الكرامات..الخ تماما شأن «القداس الكنيس وصكوك الغفران» وغيرها من الإتاوات المماثلة - المتماثلة.

6) يرى غلاة التصوف أن الشرائع السماوية تأخذ بالظاهر لهذا فعلم الأنبياء عليهم السلام يقف عند هذه الحدود الظاهرية التي تتجاوزها الروحانية التصوفية- ويتمثلون في هذا الفارق بقصة «الرجل الصالح: الخضر عليه السلام مع كليم الله موسى« ليزعموا بذلك أن علمهم «لدني »لقوله تعالى «وعلمناه من «لدنا» علما» وهو تشبيه فيه من التزويز والافتراء ما يرقى إلى مستوى التجديف والمروق عن الرسالات السماوية مجتمعة، فتلك القصة القرآنية الواردة في «سورة الكهف» تعلمنا ترويض أنفسنا بمعرفة أن فوق كل ذي علم عليم» وأن «أمتلاك الحقيقة المطلقة» مسألة تتعدى حدود القدرة البشرية على الإطلاق ، فهي خصوصية الخالق وحده لا شريك له . وتقدم درسا بليغا نستشف منه أن الخالق سبحانه جعل من سيدنا موسى عليه السلام قدوة حسنة - ويتجلى ذلك بقول خاتم الأنبياء عليه السلام :«وقف أخي موسى خطيبا في بني إسرائيل فقال له :أحدهم من أعلم الناس، وهو رد لاشبهه غير فهو نبي إلا أن الله سبحانه وتعالى قال له : بل هناك من هو أعلم منك ولعلنا بهذه الوقفات المختصرة قد اقتربنا من إزالة أهم الملابسات الجدلية سير اهتمام الدوائر الغربية والأمريكية على وجه الخصوص، ولماذا تسعى هذه القوى لدعم وإبراز ظاهرة التصوف لتكون نموذجا للإسلام الذي ينشده صناع السياسة المعاصرة التي وجدت بهذه الحركة انطلاقة المتطرفة ضالتها- وذلك بخلاف مزاعمها بإسناد قوى الاعتداء - إذ:

1) يمكن للسياسات الغربية أن تدعم السنة حينا والشيعة حينا آخر- في تحالفات مرحلية غير موثوقة- لأن تجربتها مع القاعدة وطالبان قد أرتدت عليها- كما أن «حزب الله» يهدد الحليف الإستراتيجية إسرائيل - ليصبح التوافق مع الشيعة والسنة مسألة نسبية- وشتان بين «فرق الموت في العراق» والحوثيين في اليمن» وهم شيعة، وبين تشييع المقاومة الإسلامية في لبنان- والأمر كذلك بين «فصائل المقاومة الفلسطينية» وهي سيئة وبين السلفية الجهادية التي تدير حروبا دينكيشيوتية معظم ضحاياها أبرياء- وتفاوت كهذا لا يعجب مراكز صناعة القرار في الغرب ما دامت تبحث عن «زبون دائم» ينعدم في قاموسة اللغوي «فكرة المقاومة» تجسيدا لتجليات خشوع المريد في حضرة شيخ الطريقة »ولا بأس من تسويق «طاعة التابع للمتبوع في عالم السياسة، فلكل درجة مقامات ولكل اجتهاد تجليات.

2) بالنظر للحقائق أعلاه فإن القراءة المتتبعة لسيرة الحركة الصوفية عبر التاريخ تبرهن على أنها «خارج الخدمة» وبكافة تفريعاتها باستثناء «المرابطين» الذين صدوا الأسبان دفاعا عن الثغور الحصينة التي اتخذوها ملاذا لهم- فاحتشد المغاربة خلفهم للدفاع عن وطنهم- وبذلك احتل المرابطون قلب الكيان المغاربي والدولة المغاربية حتى الآن.. إلا أن الوقائع أن النظام في المملكة المغربية أقرب إلى أوروبا وأمريكا من سواه وأن علاقته بإسرائيل متميزة. وما إلى هناك.

3) إن الغرب يسعى لإثبات أنه يفرق بين «الإسلام كعقيدة» يرحب بصيغتها المسالمة والمستعدة لإشاعة السلام، وبين «هواة العنف» أو ما يسمونه بـ« الإرهاب» وهي «كلمة حق يراد بها باطل» فالإسلام دعوة سلام وكل من يؤمن به يفترض أن يكون على أن يعترف الآخرون بالحقوق المشروعة لهذه الأمة.

4) أن في الغرب الآن حركة تعاطف جماهيري غير مسبوق وإقبال متنامي لاعتناق الدين الإسلامي، ولم تفلح معه حملات «الإسلام فوبيا» ولعل التصوف يصرف الناس عن هذا الدين الذي يبشر به «دراويش الصوفية» فكيف عليه هؤلاء الذين سئموا الرهبنة وثأروا على «سلطة الكنيسة الكهنوتية».

5) أما على المستوى المحلي- فتاريخ الفرق الصوفية متخم بصفحات التآمر والدس والتحريض - تارة بتأليب الحكام ضد الفرق المناوئة لها وتارة بالوقيعة بين فرقة وأخرى- وحينا بالتحالف مع السلطان وإصدار فتاوى تدعوا الناس لطاعته فإذا حان صعود البديل القوى وقفوا بمقدمة الراقصين في حضرته- وكلها شواهد لعقيدة «باطنية» مبتدعة لذلك لا غرابة «أن يرتدي الشيوعيون في السودان عباءة التصوف في عهد النميري» وأن «نجد معظم رموز التيارات العلمانية تمارس الطقوس الصوفية».

تنويه

لظروف خاصة احتجبت حلقة الدكتور ياسين عبدالعليم القباطي - دمع من القلب- أمس..وسيواصل الدكتور كتابة حلقاته الأسبوع القادم

من السبت إلى السبت

العدل والانصاف؟

أحمد الأكوع

★ .. كادر الموظفين حتى الآن لم يتوحد وأصبح الحديث عن هذا الكادر يشغل بال كل العاملين في الجهات الحكومية حيث يلاحظ أن هذا الكادر لم ينصف الموظفين في الوزارات والمؤسسات مما جعل الموظفين يتذمرون ولا يؤدون واجبهم كما يجب لأنهم يشعرون بأن حقوقهم مهظومة وبأن هذا المرتب الذي يتقاضه الموظف لا يضاهي الأسعار الخيالية التي أصبحت عليها المواد الغذائية والمستلزمات الطبية والاستهلاكية ولا يفي بمتطلبات حياته المعيشية وحياة أسرته وأولاده ومن يعول ، لأن الفوارق في المرتبات كبيرة وشاسعة بين وزارة وأخرى ويشعر الموظف أنه لا يوجد العدل والانصاف في هذه المرتبات ولا تخلو الصحافة من نقد دائم للغلاء والتسيب والانفلات وما أشبه ذلك والمشكلة أنه كلما كتبت الصحافة وانتقدت فقد لا تجد مستجيبين لأن المسئولين يعتبرون ما ينشر نتيجة لمجالس القات حيرة بالغة وقلما نجد دعوة إلى المحبة والتعاون والتكاتف ولا توجد دعوة إلى اعتبار العدل والانصاف حقا يجب أن يحصل عليه كل مواطن ومع تدهور العملة وارتفاع الأسعار فإن المرتب قد لا يفي بأغراض الحياة المعيشية فيذهب الموظف للبحث عن مصادر للدخل وبطرق غير مشروعة ولو كان له مرتب عادل ومنصف فإنه سيكون مستقيما في جميع تصرفاته ولعل من واجبات لجنة الحوار أن تتصدى لهذا الموضوع وأن يكون هناك كادر عادل لا يفرق بين جهة وأخرى وأن يراعي حياة كل الموظفين المعيشية لا أن يفرق بينهم ويعطي هذا مرتبا كبيرا وهذا صغيرا وبدون أية اعتبارات أساسية توجد ولا تفرق أن يتحقق الرخاء واسعاد الإنسان وهو أحد الأهداف التي من أجلها حكمنا على الإمام بالجمود والتحجر وقلة الرحمة والعطف وسوء التدبير وهو أحد الأهداف التي قامت من أجلها الثورة وما تتمتع به اليمن اليوم من خير يرجع فيه الفضل لله ثم للعدد الهائل من المغتربين اليمنيين فقد كان عددهم قبل الثورة نحو مائتي ألف وهم اليوم يزيدون على مليونين إن لم يصل إلى ثلاثة ملايين وإذا لم يلق الموظف الانصاف في راتبه الشهري وإذا لم تتصدى لجنة الحوار الوطني لهذا الموضوع ثم تجري انتخابات في البلاد حرة نزيهة فسيظل الظلم قائماوسيظل الشعب يئن إذا لم يحصل كل إنسان على حقه في العدل والانصاف.

شعر

افقنا على الفجر يوم صبى
فيا صحوات المنى أطربي
اتدرين يا شمس ماذا جرى؟
سلبنا الدجى فجرنا المختبي
اتدرين أنا سبقنا الربيع
نبشر بالموسم الطيبي؟
طلعنا ندلي الضحى ذات يوم
ونهتف يا شمس لا تغربي

(البردوني)

جولات كأنّها المحشَر!

فايز البخاري
faiz.faiz619@gmail.com

كان يا ما كان في سابق الأزمان وسالف العصر والأوانِ، لا نرى في أمانة العاصمة صنعاء زحاما خانقاً إلّا فيما ندرَ من الجولات، وذلك بالطبع أيضاً قبل إنشاء الجسور والأنفاق التي وعَدَنا المسئولون بأنّها ستكون الحل النهائي لمثل ذلك الازدحام الخانق الذي كنا نعانيه في بعض الجولاتٍ والشوارع.. والمواطنون صبروا وعانوا كثيراً من إقفال تلك الجولات والشوارع جرّاء الوقت الطويل الذي يستغرقه بناء تلك الأنفاق والجسور، ولكن اتضحَ لهم في الأخير أنَّ الأمر لم يخرج عن كونه كما يُقالُ: يا فرحة ما تمَّتْ! بدليل أنّ ذلك الازدحام زادَ لدرجة لم يكن أحدٌ يتخيلها، وأكبر مثال على ذلك ما هو حاصلٌ في شارع الزبيري وجولاته المختلفة، وبالذات جولة عصر التي كان يشمل مخططها إنشاءَ جسر ونفق على غرار ما هو حاصلٌ في جولة عمرانَ تقاطع شارع الستين مع شارع التلفزيون.

لكن شاءتْ أقدارُ العابثين أنْ تحولها إلى نفق فقطٍ والاكتفاء به عن إنشاء الجسر الذي كانَ كفيلا بإنهاء تلك المعاناة التي نراها يوميا من الصباح وحتى الساعات الأولى من الليل.

والعجيب والغريب في هذا الأمر الذي يمكنْ وصفه بالمهزلة أنّهِ ومنذ بضعة أشهُر قامتْ أمانة العاصمة بدلاً عن الوفاءِ بوعدها السابق الذي أطلقته مراراً وتكراراً عن تنفيذ المرحلة الثانية في جولة عصر وجولة مذبح والقاضي ببناء جسر في جولة عصر ونفق في جولة مذبح، قامتْ معالجة الأمور بما تسببَ بمضاعفة الازدحام أضعافاً مضاعفةٍ عما كان حاصلٌ قبل ذلك، لينطبق عليهم المَثَل القائل: ساروا يكحلوها زادوا أعموها!!

ولا أدري لصالح مَن كل ذلك العبث؟ وكيف يرضى المسئولون الذين قاموا بتلك المعالجة المهزلة عن أنفسهم وضمائرهم وهم يرونِ أنّ معالجتهم فاقمتْ الأمر وزادته سوءا؟ ولماذا لا يقومون بإعادة الأمر إلى ما كان عليه قبل معالجتهم الكارثية والمتمثل بإغلاق تلك الفتحات التي استُحدثت في الجزيرة الوسطى لشارع الزبيري عندَ جولة عصر؟

هل الأمر فقط من أجل العكننة على هذا المواطن الغلبان وتحميله فوق ما يطيق من أجل ترك أمانة العاصمة لهؤلاء الشلة الذين نهبوا خيراتها وعبثوا بمُقدّراتها واليوم لم يعد لديهم استعداد على مجاورة الغلابى، فكان الحل الوحيد هو التضييق عليهم في طرُقهم وشوارعهم إلى جانب ما هو حاصل في التضييق عليهم بمعيشتهم وكهربائهم التي باتت تظهر عليهم كليلة القدر، من أجل ضمان أنْ يهجروا هذه المدينة ويتركوها خالصة مقشرة لهؤلاء الـ....!!

الأمرُ وإنْ كان فيه ما يشبه الشطحة والشطط لكنه لا يعدو عن كونه يلامس الحقيقة المُرَّة التي نكتوي بنارها آناء الليل وأطراف النهار في عاصمة لم يعد السكنُ فيها حلما لأي يمني، والابتعادُ عنها صار ملاذاً ينشده الكثير من البسطاء الذين تكسَّرتْ أحلامُهم على صخرة النافذين في هذه المدينة البائسة.